دلالة تحويل الفعل الماضى إلى المستقبل فى القرآن الكريم

الباحث/أحمد محمد محمد سليمان مرسى

الملخص:

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، فهذا بحث بعنوان دلالة تحويل الفعل الماضى إلى المستقبل فى القرآن الكريم، ويتضمن البحث: مقدمة واثنى عشرَ مطلبًا وخاتمة.

فأما المقدمة: فلماذا يتحدث القرآن الكريم عن المستقبل بصيغة الماضى؟.

وأما المطالب الاثنا عشر فهى: الأول: إذا وقع الفعل الماضى بعد أداة الشرط (إن) وما يتضمن معناها فإن زمانه حينئذ يكون مستقبلًا. والثاني: إذا كان الفعل الماضى وقع بالإخبار عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها والثالث: إذا وقع الفعل الماضى بعد القسم منفيًا بـ (لا أو إن) والرابع: إذا كان القصد من الإتيان بالفعل الماضى سياق الكلام للوعد والخامس: دخول (ما) النائبة عن الظرف المضاف على الماضى والسادس: إذا ورد الفعل الماضى بعد (قد) والسابع: إذا وردالفعل الماضى بعد (كلما وحيث) والثامن: إذا ورد الفعل الماضى صلة لموصول عام والتاسع: إذا ورد الفعل الماضى فى سياق أسلوب الطلب وجوابه والعاشر: إذا ورد الفعل الماضى بعد همزة التسوية والحادى عشر: إذا ورد الفعل الماضى فى سياق الرجاء والثانى عشر: إذا ورد الفعل الماضى صفة لنكرة عامة.

وأما الخاتمة: فنتائج البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

Summary

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon the most noble prophets and messengers, our master Muhammad, and upon his family and companions as a whole.As for the introduction: Why does the holy Qur'an talk about the future in the form of the past ? As for the twelve demands, they are: The first: If the last act occurred after the condition condition (if) and its meaning, then its time will be in the future. The second: If the past act occurred by informing about future matters with the intent of cutting the occurrence of it and the third: If the last act occurred after the oath is negated by (no or if) and the fourth: If the intention of coming from the past act was the context of speaking to the promise and the fifth: Entering (what) acting for The envelope added to the past and the sixth: if the past verb is mentioned after (may) and the seventh: if the past verb is mentioned after (when ever and where) and the eighth: if the past verb is related to a general conduct and the ninth: if the past verb is mentioned in the context of the request method and its answer and the tenth: if the past verb is received After the hamza of the settlement, the eleventh: If the past verb is mentioned in the context of hope, and the twelfth: If the past verb is mentioned as a characteristic of general negation.As for the conclusion: the research results are proven by sources and references.

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:-

فهذا بحث بعنوان: **دلالة تحويل الفعل الماضى بمعنى المستقبل فى القرآن الكريم:**

-

وهو جزء من رسالة الدكتوراه بعنوان (الأفعال المتحولة بين الدلالة الأصلية والفرعية فى القرآن الكريم) تحت إشراف الأستاذ الدكتور/حسن محمد نور والأستاذ الدكتور المساعد/ تامرسعد إبراهيم.

مقدمة:-

دلالة تحويل الفعل الماضى بمعنى المستقبل: -

لماذا يتحدث القرآن عن المستقبل بصيغة الماضى؟

وردت صيغة الماضى دالة على المستقبل كثيرًا فى اللغة العربية، وقد اتفق النحاة على قيام الفعل الماضى مقام المضارع، للدلالة على الاستقبال، وقال الدكتور عبد القادرحامد: " إن هذه اللغة الحافلة بالعجائب والأسرار، تفوق اللغات الحية فى استعمال الماضى لأغراض أخرى، وفى مقدمة هذه الأغراض أن الماضى يستعمل لما سيقع فى المستقبل؛ أى أنه يحل محل المضارع إذا دل السياق على ذلك " [١]، وقال فندريس: "يمكننا كلما شئنا، أن نستخدم الصيغة المسماة بصيغة الماضى، للتعبير عن المستقبل".[٢]

فدلالة الفعل الماضى قد تتحول من الدلالة على الماضى إلى الدلالة على زمن الحال. ومن الدلالة على زمن الماضى إلى الدلالة على الزمن المستقبل. ولكن من عظمة هذا القرآن أنك تجد في كل يوم شيئًا جديدًا يثبت أن هذا القرآن منزل من حكيم حميد.

١- إن كلام الله تعالى هو الحق، ولذلك فإن الله عندما يتحدث عن يوم القيامة فإن هذا الحديث واقع لا محالة وبالتالي فإن الله استخدم صيغة الماضى ليؤكد لنا هذه الحقيقة، كأن الله يخاطب أولئك المشككين ويقول لهم: كما أنكم لا تشكون في الماضى الذي رأيتموه بأعينكم،

كذلك ينبغي ألا تشكوا في المستقبل الذي ينتظركم، ألا وهو يوم البعث. ولذلك حدثتكم عنه بالماضى لأنه حق لا يمكن أن يتغير أو يتبدل.

٢- إن القرآن يستخدم صيغة الماضى في الحديث عن يوم القيامة لأن هذا الأسلوب فريد يتميز به القرآن، وهو دليل على أن القرآن منزل من عند الله، وليس كلام بشر، لأنه لو كان كلام بشر لكان العرب أول من يستغرب وينفر من هذا الأسلوب، ولكن على الرغم من أنه أسلوب غير مألوف لديهم فإنهم استجابوا له وعجزوا عن الإتيان بمثله وهذا من إعجاز القرآن.

٣- هناك رأي ثالث ألا وهو أن المستقبل بالنسبة لله كالماضى بالنسبة لنا (ولله المثل الأعلى)، فالله تعالى ليس مثلنا ينتظر يوم القيامة، سبحانه وتعالى، إنه يرى كل شيء وكل الأحداث هو خالقها، هو خالق الزمن وخالق الأيام وخالق المستقبل، ولذلك فهو يرى كل شيء، فأراد أن يؤكد هذه الحقيقة فجاء الحديث عن يوم القيامة بصيغة الماضى.وسبحان الله الذي أتقن كل شيء! خاطب الإنسان وحدثه عن المستقبل واستخدم صيغة الماضى لأن الله يعلم أن المنطقة التي تستجيب هي ذاتها، وبالتالي فإن الإنسان يستجيب للماضى أكثر من المستقبل، أي أنه يتأثر بالحديث عن الماضى أكثر من تأثره بالحديث عن المستقبل، فجاء هنا الحديث عن المستقبل بصيغة الماض لتكون الاستجابة أكبر ما يمكن. لذلك فإن دماغ المؤمن يتأثر بكلام الله تعالى لأن هذا الكلام يخاطب كل خلية من خلايا هذا المؤمن، لأن هذه الخلايا قد فطرها الله على الفطرة السليمة، وأودع فيها برنامجًا يستجيب لكلام خالقها، ومن هنا تأتي أهمية الشفاء بالقرآن، لأن الخلايا تتأثر بكلام الله تعالى.

نضرب بعض الأمثلة عن آيات تتحدث عن يوم القيامة ولكن بصيغة الماضى، تأملوا معي قوة وروعة هذه الآيات: **{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ(٩٤) }**[٣] انظروا معي إلى الكلمات (**وَأُزْلِفَتِ، وَبُرِّزَتِ، وَقِيلَ، فَكُبْكِبُوا**) جميعها جاءت بصيغة الماضى.وتجدر الإشارة إلى أن القرآن يستخدم صيغة المستقبل وصيغة الحاضر للحديث عن يوم القيامة أيضًا، حسب مناسبة المقام، وفي هذا إعجاز عظيم.

التفصيل فى دلالة تحويل الفعل الماضى إلى المستقبل:-

المطلب الأول: إذا وقع الفعل الماضى بعد أداة الشرط (إن) وما يتضمن معناها فإن زمانه حينئذ يكون مستقبلًا.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب ما يلي:

١ – قال تعالى: **{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}** [٤] فقوله " فقد اهتدوا " جواب الشرط في قوله: " فإن آمنوا "، وليس الجواب محذوفًا كما في قوله: **{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُور}** [٥] لأن تكذيب الرسل ماض محقق هناك، فاحتجنا إلى تقدير جواب، وأما هنا فالهداية منهم لم تقع بعد، فهى مستقبلية معنى، وإن أبرزت في لفظ المعنى، فالآية تدل على أن الهداية كانت موجودة قبل هذا الاهتداء، وتلك الهداية لا يمكن حملها إلا على الدلائل التى نصبها الله تعالى، وكشف عنها وبين وجوه دلالتها[٦]، ولذلك قال الزجاج: " فقد اهتدوا، أي صاروا مسلمين مثلكم" .[٧] وقال الطبري: "وإنما معناه وهو: فإن صدقوا مثل تصديقكم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه فقد اهتدوا، فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء [٨].وقد قيل في تفسير هذه الآية: فإن آمن اليهود بمثل ما آمنتم كمؤمنيهم قبل التحريف، فإنهم آمنوا بمثل ما آمن المؤمنون في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه– ولم يكن ذلك قبله — إلا أن هذا التوجيه يقتضي إبقاء صيغة الماضى على معناها.[٩]

قال تعالى: **{فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢٢٦)وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [١٠]

قوله تعالى:" فاؤوا" رجعوا، أي رجعوا إلى قربان النساء، وحذف متعلق (فاؤوا) بالظهور المقصود، والفيئة تكون بالتكفير عن اليمين المذكورة في سورة العقود، وقوله:" فإن الله غفور رحيم" دليل الجواب، أي فحنثهم في يمين الإيلاء مغفور لهم، لأن الله غفور رحيم.

وقوله: " وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ"، دليل على شرط محذوف، دل عليه قوله تعالى (فَإِنْ فَاءُوا) فالتقدير: وإن لم يفيئوا فقد وجب عليهم الطلاق، فهم بخير النظرين بين أن يفيئوا أو يطلقوا، فإن عزموا الطلاق فقد وقع طلاقهم [١١]. وعلى هذا اختلف العلماء في قوله تعالى: (فاءوا)، و(إن

عزموا)، هل الفيئة والعزيمة تكون في أربعة أشهر أو بعد مضي أربعة أشهر؟ هما قولان للعلماء، ولكن ليعلم أنه لم يرد في السنة النبوية المطهرة ما يدل على أن المدة التي تؤلي عليها ولا على صفة الفيئة ولا على عزيمة الطلاق، قال الشافعي: " لم يحفظ عن رسول الله في هذا- بأبي هو وأمي- شيئا".[١٢] ولهذا فاعلم أن أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم، وتكلفوا بما لم يدل عليه اللفظ، ولا دليل آخر ومعناها ظاهر واضح.[١٣] القول الأول: روي عن عمر وعثمان وعلي وعائشة وابن عمر-رضي الله عنهم- أنه إذا مضت أربعة أشهر وقف المؤلي، فإما أن يفيء، وإما أن يطلق. وبهذا أخذ مالك والشافعي وأحمد وإسحاق- رحمهم الله-[١٤]

يقول ابن القيم: (السر في ذلك أن تنزيل الشرط بالنسبة إلى الجزاء منزلة الفعل الماضى، فإن الشرط لايكون إلا سابقًا للجزاء متقدما عليه ... ألا ترى أنك إذا قلت: إن اتقيت الله أدخلك الجنة، فلا يكون إلا سابقًا على دخول الجنة، فهو ماض بالإضافة إلى الجزاء، فأتوا بلفظ الماضى تأكيدًا للجزاء، وتحقيقًا، لأن الثاني لايقع إلا بعد تحقيق الأول ودخوله في الوجود)[١٥] أوضح ابن يعيش أن (الشرط إنما يكون بالمستقبل؛ لأن معنى تعليق الشيء على شرط، إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود، ولايكون هذا المعنى فيما مضى) [١٦] وقال المبرد (وقد يجوز أن تقع الأفعال الماضة فى الجزاء على معنى المستقبلة؛ لأن الشرط لايقع إلا على فعل لم يقع) [١٧]، نحو قولك: (إن قمت قمت)، فصيغة الماضى الواقعة فى جملة الشرط وجوابه تدل على المستقبل فى سياق الشرط بعد (إن). ويرى ابن جني أن (حديث الشرط فى نحو: (إن قمت قمت)، جئت فيه بلفظ الماضى الواجب، تحقيقا للأمر، وتثبيتا له؛ أى إن هذا الوعد موفى به لا محالة، كما أن الماضى واجب ثابت لا محالة) [١٨]، فعبر عن المضارع (المشكوك فى وقوعه بلفظ الماضى المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر، لا أنه متوقع مترقب) [١٩]. ويذكر (ابن يعيش) أن (إن أم هذا الباب... وحق (إن) الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال؛ لأنك تشترط فيما يأتى أن يقع شيء لوقوع غيره، فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال)[٢٠] فإن الشرطية تجعل زمن الماضى مستقبلا شرطا، أو جوابا؛ (لأن جميع أدوات الشرط الجازمة، تجعل زمن الماضى الواقع فعل شرط أو جواب شرط مستقبلا خالصا)[٢١] ويقول (أبو عبيدة) ومنها لما يجيء بعد فى موضع (يكون)، والعرب تفعل ذلك، قال الشاعر:

إنْ يسمعُوا ريبةً طارُوا بِها فرحًا ... منِّي، ومَا سمعُوا منْ صالحٍ دفنُوا

أى يطيروا، ويدفنوا) [٢٢]،أى أن الفعلين(طاروا، ودفنوا) الواقعين فى جواب الشرط، لفظهما ماض، ومعناهما الاستقبال. وقد يكون فعل الشرط وجوابه ماضيين لفظا ومعناهما الاستقبال، نحو قوله تعالى: **{ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ}**[٢٣] وهو فى الفصاحة بمستوى كونهما مضارعين، أى إن تحسنوا تحسنوا لأنفسكم . وكذلك فى قوله تعالى: **{إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}** [٢٤] فصيغة الماضى فى قوله (قمتم) تدل على المستقبل فى سياق الشرط، ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد إذا.[٢٥] وفى قوله تعالى: **{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}** [٢٦]. فالأفعال الماضة زحزح، وأدخل، وفاز، تدل على المستقبل فى سياق الشرط، ووقع الفعل زحزح فى جملة الشرط، وأدخل معطوف عليه، وفى جواب الشرط فاز وذلك بعد" من". ونحو قوله أيضا: **{وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}** [٢٧]، فصيغة الماضى كنتم تدل على المستقبل فى سياق الشرط، ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد حيثما؛ لأن حيث إذا اقترنت بما تكون شرطية، تنقل الماضى إلى الاستقبال.[٢٨] وتدل صيغة الماضى على المستقبل بعد لو الشرطية التى بمعنى إن وتشتهر ب لو غير الامتناعية؛ وهى للتعليق فى المستقبل، نحو قوله تعالى: **{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}**[٢٩]، وقوله أيضا: **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ}**[٣٠]، فصيغة الماضى فى كره، وتركوا تدل على المستقبل؛ لأنها تقع فى سياق الشرط بعد لو ف لو قلبت الماضى إلى معنى الاستقبال.[٣١]

وكذا الحال فى الأمثلة التى تكون فيها صيغة الماضى فى جملة الشرط، بعد أداة من أدوات الشرط الأخرى، مثل: أى، وأين، ومتى، وأيان، وكيف، وأنى،...الخ.وقد تدل صيغة الماضى على الزمن الماضى فى سياق الشرط، وذلك مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: **{إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}**[٣٢]، فصيغة الماضى كنت تدل على الزمن الماضى فى سياق الشرط [٣٣]، يقول ابن يعيش: (فإن قيل فإنهم يقولون: إن كنت زرتنى أمس أكرمتك اليوم، وقد وقع بعد إن الفعل ومعناه المضى، ومنه قوله تعالى: **{إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}**[٣٤]، قيل: قد أجاب عن ذلك المبرد وقال: إنما ساغ ذلك فى (كان)؛ لقوة دلالتها على المضى.[٣٥]

المطلب الثاني: إذا كان الفعل الماضى وقع بالإخبار عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها .[٣٦]

ومن الأمثلة على ذلك:

١ – قوله تعالى: **{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ}**[٣٧] فقوله سبحانه: (يقدم) فعل مضارع، وقد عطف عليه فعلًا ماضيًا، وهو(فأوردهم)، وإنما جاء (فأوردهم) بصيغة الماضى للتنبيه على تحقيق وقوع ذلك الإيراد، وإلا فقرينة قوله (يوم القيامة تدل على أنه لم يقع فى الماضى)[٣٨]

قال الرازي (فإن قيل لمَ لم يقل: يقدم قومه فيوردهم النار؟ بل قال: يقدم قومه فأوردهم، بلفظ الماضى، قلنا: لأن الماضى قد وقع ودخل في الوجود، فلا سبيل ألبته إلى دفعه، فإذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضى دل على غاية المبالغة.[٣٩] قال تعالى **{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}**[٤٠] فقوله (ينفخ) فعل مضارع، وعطف عليه قوله:(ففزع)، وهو فعل ماض، إلا أنه جيء بصيغة الماضى فيها مع أن النفخ مستقبل، ولم يقل: (فيفزع)، لتحقق وقوعه، وهو الفزع وأنه واقع لا محالة، لأن المضي يستلزم التحقق فصيغة الماضى كناية عن التحقق، وقرينة الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله (ينفخ).[٤١]

المطلب الثالث: إذا وقع الفعل الماضى بعد القسم منفيًا بـ (لا أو إن) [٤٢].

ومن الأمثلة على النفي بـ (إن) في جواب القسم:

قوله تعالى: **{وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍۚ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ}**.[٤٣]

قوله (ولئن زالتا) أي أشرفتا على الزوال على سبيل الفرض والتقدير، وقيل إن ذلك إشارة إلى ما يقع يوم القيامة من طي السماوات ونسف الجبال (إن أمسكهما) أي ما أمسكهما (من أحد من بعده)، أى بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال، والجملة جواب في القسم المقدر قبل لام التوطئة في(لئن) وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وأمسك بمعنى يمسك، كما في قوله تعالى: **{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ }**.[٤٤] ولهذا جاء ب(ولئن) بالماضى من الفعل وحكمها الجواب بالمستقبل تشبيهًا لها ب(لو) لأنهما يجابان بجواب واحد فيتشابهان في المعنى[٤٥] ولم أجد مثالا في القرآن الكريم يصلح أن يكون الفعل الماضى وقع منفيا ب (لا) في جواب القسم، ومثاله (والله لا فعلت).

المطلب الرابع: إذا كان القصد من الإتيان بالفعل الماضى سياق الكلام للوعد .

ومن الأمثلة على ذلك: إخبارالله تعالى عما سيأتى فى الدنيا:

من ذلك قوله تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}**[٤٦] قال الزمخشرى: فى تفسيره لهذه الآية: (هو فتح مكة، وقد نزلت عند رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عِدة له بالفتح، وجىء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره؛لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفى ذلك من الفخامة والدلالة على شأن المخبر ما لا يخفى).[٤٧] فصيغة الماضى (فتحنا) تدل على المستقبل بالنسبة لوقت نزول الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك فى سياق حكاية الحال الآتية.

إخبار الله تعالى عما سيأتى يوم القيامة:

١-قوله تعالى: **{ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}** قال الطبري: إن (أتى) هنا بمعنى (سيأتى) أي في المستقبل، فهو إخبار عن إتيان بما سيأتي على جهة التأكيد، وإذا كان الخبر حقًا يؤكد المستقبل بأن يخرج في صيغة الماضى، أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع ويحسن ذلك في خبر الله تبارك وتعالى لصدق وقوعه.

قال ابن عاشور: **{أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}**[٤٨]، لما كان معظم أغراض هذه السورة زجر المشركين عن الإشراك وتوابعه، وإنذارهم بسوء عاقبة ذلك، وكان قد تكرر وعيدهم من قبل في آيات كثيرة بيوم يكون الفارق بين الحق والباطل فتزول فيه شوكتهم وتذهب شدتهم، وكانوا قد استبطئوا ذلك اليوم حتى اطمأنوا أنه غير واقع ؛ فصاروا يهزءون بالنبيء – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين فيستعجلون حلول ذلك اليوم . صدرت السورة بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حل ذلك المتوعد به، فجيء بالماضى المراد به المستقبل المحقق الوقوع بقرينة تفريع (فلا تستعجلوه) ؛ لأن النهي عن استعجال حلول ذلك اليوم يقتضي أنه لما يحل بعد .[٤٩]وقال الآلوسي: (وظاهر صنيع الكثير يشعر باختيار أن الماضى بمعنى المضارع على طريق الاستعارة بتشبيه المستقبل المتحقق بالماضى في تحقق الوقوع والقرينة عليه قوله سبحانه فإنه لو وقع ما استعجل. وهو الذي يميل إليه القلب،[٥٠] والضمير المنصوب في تستعجلوه على ما هو الظاهر عائد على الأمر لأنه هو المحدث عنه، وقيل: يعود على الله سبحانه أي فلا تستعجلوا الله تعالى بالعذاب أو بإتيان يوم القيامة).

٢ – قوله: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}**[٥١] . وقوله: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ }**[٥٢].هذه الآيات العظيمة تدل على عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وما فيها من تهويل وتمثيل لمجموع الأحوال يومئذ مما ينذر الكافر، ويبشر المؤمن، ويذكر بإقامة العدل والحق، وكثيرًا ما تبتدأ الآيات الكريمة المتحدثة عن أهوال يوم القيامة بالحديث عن النفخ في الصور، إذ هو ميقات يوم القيامة وما يتقدمه من موت كل حي على وجه الأرض. وعبر سبحانه بالماضى في قوله: (ونفخ) – وما بعدها من ألفاظ تدل على الماضى – لأنه محقق الوقوع، وبنى الفعل (نفخ) للمفعول لعدم تعلق الغرض بالفاعل، بل الغرض إفادة هذا الفعل من أي فاعل كان، فكأنه قيل: ووقع النفخ في الصور. ويجوز أن تكون الواو في قوله: (ونفخ) للحال، بتقدير(قد)، أي: والحال قد نفخ في الصور، فتكون صيغة الماضى في فعلي (نفخ وصعق) مستعملة في حقيقتها.[٥٣]

٣ – قوله تعالى **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}**[٥٤] اختلف في قوله: (أَعْطَيْنَاكَ) هل الفعل هنا على بابه وهو الماضى، أو أن المراد به في المستقبل لكنه عبر بالماضى من باب البشارة، وهذا الخلاف نتج عنه الاختلاف في المراد بالكوثر. فمن قال: إن المراد ب(أَعْطَيْنَاكَ) هنا أنه سبحانه عبر بالماضى وأراد المستقبل من باب البشارة والوعد، قالوا: إن المراد بالكوثر نهر في الجنة، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، ؟ قال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ **{ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ }**[٥٥] ثم قال: أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم . قال: فإنه نهر وعدنيه ربي – عز وجل –، عليه خير كثير، هو حوض يرد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك) [٥٦] فقوله ﷺ: (وعدني ربي) يدل على أن هذا الأمر مستقبل. والقول بأن قوله سبحانه (أَعْطَيْنَاكَ) هو تعبير بالماضى وإرادة المستقبل . قال ابن عاشور: (افتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ كما تقدم في **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ}**[٥٧] والكلام مسوق مساق البشارة، وإنشاء العطاء، لا مساق الإخبار بعطاء سابق، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم)[٥٨].

المطلب الخامس: دخول (ما) النائبة عن الظرف المضاف على الماضى [٥٩].

لتضمنها معنى (إن)، ومثله: (ما دامت السموات والأرض) أي: إن دامت قليلا أو كثيرا. والأمثلة على ذلك من القرآن: قوله تعالى: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}**[٦٠] . أكثر أهل المعاني والتفسير على أن قوله: **{ما دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}**، قال: ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء). وقال الضحاك: (ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء،وكل ما استقرت عليه قدمك وثبت فهو أرض)[٦١] . وقال الحسن: (أراد: ما دامت الآخرة كدوام السماء والأرض في الدنيا).[٦٢] قال ابن قتيبة: للعرب في معنى الأبد ألفاظ يستعملونها في كلامهم، يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما طما البحر، وما أقام الجبل، وما دامت السماء والأرض في أشباه كثيرة لهذا، يريدون: لا أفعله أبدًا،فخاطبهم الله بما يستعملون)[٦٣] وقال ابن الأنباري: إن الله تعالى خاطب العرب على ما تعقل، ومن ألفاظهم في التأبيد أن يقولوا: لا أفعل ذلك ما دامت السموات والأرض، وما أن السماء سماء، وما بلَّ بحر صوفة، وما ناحت الحمام وتغنت، وما أطت الإبل، وما اجترت الناب، وما لألأت الفور فلما كانوا يستعملون هذه الألفاظ ظنًّا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير.

خاطبهم الله على سبيل ذلك فقال تعالى: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}** عندكم وليست عندنا دائمة، كما قال -يعني أبا جهل-: **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}**[٦٤] أي عند نفسك، فأما عندنا فلا.[٦٥] فالتأبيد هنا جرى مجرى المثل، وإلا فإن السموات والأرض المعروفة تضمحل يومئذ، قال تعالى: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}**[٦٦]، أو يراد سموات الآخرة وأرضها. وعلى هذا القول معنى الاستثناء في قوله: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}**؛ قال الفراء: هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، فكذلك قال: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}**، ولا يشاؤه.[٦٧] فالاستثناء هنا ضمير(خالدين) بمعنى لو شاء أن لا يخلدهم لقدر، وهذا الاستثناء لايفيد نقص شيء من التأبيد، و(ما) هنا تطلق على العاقل، كقوله تعالى: **{مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}**[٦٨].وقيل: إن الاستثناء هنا استثناء من الأزمان التى عمها الظرف في قوله (ما دامت)، أي إلا الأزمان التى شاء الله فيها عدم خلودهم، ويستتبع ذلك استثناء بعض الخالدين تبعا للأزمان، وهذا بناء على غالب إطلاق(ما) الموصولة أنها لغير العاقل، وهو الزمان

هنا. والمعنى: أما الذين شقوا ففي النار في كل زمان بعد إتيان ذلك اليوم، إلا زمانا شاء الله تعالى فيه عدم كونهم فيها وهو زمان موقف الحساب.[٦٩] وقيل: إن قوله تعالى: {مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} معناه أن الله تبارك وتعالى يبدل السموات والأرض يوم القيامة ويجعل الأرض مكانا لجهنم والسماء مكانا للجنة، ويتأبد ذلك، فقرنت الآية خلود هؤلاء ببقاء هذه. ويروى عن ابن عباس أنه قال: (إن الله خلق السموات والأرض من نور العرش ثم يردهما إلى هنالك في الآخرة فلهما ثَم بقاء دائم[٧٠]، وتكون (ما)هنامصدرية ظرفية [٧١].وزاده أبو بكر بيانا فقال: يجوز أن يكون الاستثناء ذكره الله تعالى وهو لا يريد أن ينقصهم من الخلود شيئًا، كما يقول الرجل لغلامه: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وهو لا ينوي إلا ضربه، فمعنى الاستثناء منه أني لو شئت أني لا أضربك لقدرت، غير أني مجمع على ضربك، وكذلك معنى الآية خالدين فيها أبدًا إلا أن يشاء ربك، وهو لا يشاء إلا تخليدهم، فوقع الاستثناء على معنى لو شاء أن لا يخلدهم لقدر، والدليل على أن الاستثناء هاهنا لا يعود إلى نقص الخلود أن الله تعالى بين في مواضع من كتابه أنه يخلد الكافرين في النار، والمؤمنين في الجنة، فإذا ذكر في هذه الآية الاستثناء، كان ذلك استثناء لا يكون ولا يوجد، فجرى مجرى قول العرب: والله لأهجرنك أبدًا إلا أن يشيب الغراب [٧٢].

وقد أطلق ابن هشام على " ما " المصدرية الظرفية اسم: " ما " المصدرية الزمانية. وذلك نحو قوله تعالى على لسان " عيسى بن مريم " عليه السلام: **{وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا}**[٧٣]، فصيغة الماضى فى " ما دمت" تدل على المستقبل، بعد " ما " المصدرية الظرفية، والتقدير: مدة دوامى حيًّا. وقد تدل صيغة الماضى بعد "ما " المصدرية الظرفية على الزمن الماضى، قال " الرضى": " وقد يبقى معها المضى، كقوله تعالى: **{وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ}**[٧٤].[٧٥] فصيغة الماضى فى " ما دمت " تدل على المضى بعد " ما " المصدرية الظرفية، والذى دل على ذلك هو سياق الآية.

المطلب السادس: إذا ورد الفعل الماضى بعد (قد):

رأى بعض النحاة أن صيغة الماضى قد تفيد توقع حدوث الشيء لمن ينتظره، وذلك بعد (قد) لأن من معانيها كما قال ابن هشام: " التوقع، وذلك مع المضارع واضح كقولك: (قد يقدم الغائب اليوم) إذا كنت تتوقع قدومه. وأما مع الماضى فأثبته الأكثرون، قال الخليل: يقال (قد فعل) لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك،

وقال بعضهم: تقول (قد ركب الأمير) لمن ينتظر ركوبه، وفى قوله تعالى: **{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ}** [٧٦] لأنها كانت تتوقع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها. وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضى، وقال: التوقع انتظار الوقوع، والماضى قد وقع. وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك، أنها تدل على أن الفعل الماضى كان قبل الإخبار به متوقعا، لا أنه الآن متوقع)[٧٧] ونحو قوله تعالى: **{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ}**[٧٨]، قال الزمخشرى: **(فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا)** استعجال منهم للعذاب، **{قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ}**، أى: حق عليكم ووجب، أو قد نزل عليكم. جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع)[٧٩] فصيغة الماضى (وقع) دلت على توقع الحدث فى المستقبل؛ لأنها وقعت بعد (قد).

المطلب السابع: إذا وردالفعل الماضى بعد (كلما وحيث):

تدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وقعت بعد (كلما)، مثل قوله تعالى: **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)**[٨٠]، وقوله أيضا: **{ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا}**[٨١].وتدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وقعت بعد (حيث)، مثل قوله تعالى: **{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}**[٨٢]، وقوله أيضا: **{وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}**[٨٣]. فالفعل الماضى الذى يقع بعد (كلما) و(حيث)، يدل على الاستقبال[٨٤] ؛ لأن فيهما رائحة الشرط. وقد يدل الفعل الماضى على المضى بعد (كلما) كما فى قوله تعالى: **{ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ}**[٨٥]، وبعد (حيث)، كما فى قوله تعالى: **{ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ}**[٨٦].

المطلب الثامن: إذا ورد الفعل الماضى صلة لموصول عام:

تدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وقعت صلة لموصول عام، وذلك مثل قوله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ}**[٨٧].وتدل صيغة الماضى أيضا على الماضى إذا وقعت صلة لموصول عام، نحو قوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}**[٨٨]. وقد اجتمعا(الدلالة على المضى والاستقبال) فى قول الشاعر:

فإنِّي لآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضى منَ الأمرِ، واستيجابَ مَا كانَ في غدِ[٨٩]

فصيغة الماضى فى (مضى) تدل على الزمن الماضى، وصيغة الماضى فى (كان) تدل على الزمن المستقبل؛ لأنهما وقعا صلة لموصول عام.

المطلب التاسع: إذا ورد الفعل الماضى فى سياق أسلوب الطلب وجوابه:

تدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وردت فى سياق الأمر، نحو قوله تعالى: **{وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ }**[٩٠]، فصيغة الماضى فى (أأسلمتم) تدل على المستقبل فى سياق الشرط؛أى أسلموا. قال ابن هشام(قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقى، فترد لثمانية معانٍ: أحدها: التّسوية، وربما توهم أن المراد بها الهمزة الواقعة بعد كلمة «سواء» بخصوصها، وليس كذلك، بل كما تقع بعدها تقع بعد «ما أبالى» و«ما أدرى»«ليت شعرى» ونحوهن، والضابط: أنّها الهمزة الداخلة على جملة يصحّ حلول المصدر محلها، نحو **{سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}**[٩١]. ونحو «ما أبالى أقمت أم قعدت» ألا ترى أنه يصح سواء عليهم الاستغفار وعدمه وما أبالى بقيامك وعدمه.والثانى: الإنكار الإبطالى، وهذه تقتضى أن ما بعدها غير واقع، وأن مدّعيه كاذب، نحو **{أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثًا}**[٩٢] **{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَناتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ}** [٩٣] **{أَفَسِحْرٌ هذا}**[٩٤] ومن جهة إفادة هذه الهمزة نفى ما بعدها لزم ثبوته إن كان منفيا؛ لأن نفى النفى إثبات، ومنه **{أَلَيْسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ}**[٩٥] أى الله كاف عبده، ولهذا عطف (وَضَعْنا) على **{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}**[٩٦] لما كان معناه شرحنا، ومثله **{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبابِيلَ}**[٩٧] ولهذا أيضا كان قول جرير فى عبد الملك:من الوافر

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا، و أندى العالمينَ بطونَ راحِ. [٩٨]

مدحا، بل قيل: إنه أمدح بيت قالت العرب، ولو كان على الاستفهام الحقيقى لم يكن مدحا ألبتة.والثالث: الإنكار التوبيخى ؛ فيقتضى أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، نحو **{أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ}**[٩٩]، وقول العجّاج: من الرجز

أطربا وأنت قنّسرىّ والدّهر بالإنسان دوّارىّ؟[١٠٠]

أى أتطرب وأنت شيخ كبير؟.والرابع: التقرير، ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذى تقرره به، تقول فى التقرير بالفعل: أضربت زيدا؟ وبالفاعل: أأنت ضربت زيدا، وبالمفعول: أزيدا ضربت، كما يجب ذلك فى المستفهم عنه، وقوله تعالى: **{أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا}**[١٠١] محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقى، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، ولإرادة التقرير، بأن يكونوا قد علموا، ولا يكون استفهاما عن الفعل ولا تقريرا به ؛ لأن الهمزة لم تدخل عليه، ولأنه عليه الصلاة والسّلام قد أجابهم بالفاعل بقوله: **{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا}**[١٠٢]. فإن قلت: ما وجه حمل الزمخشرى الهمزة فى قوله تعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[١٠٣]على التقرير؟. قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفى، لا التقرير بالنفى، والأولى أن تحمل الآية على الإنكار التوبيخى أو الإبطالى، أى ألم تعلم أيها المنكر للنسخ. والخامس: التّهكّم، نحو **{أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا}**[١٠٤]. والسادس: الأمر، نحو **{أَأَسْلَمْتُمْ}**[١٠٥] أى أسلموا.والسابع: التعجب، نحو **{أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ}**[١٠٦].والثامن: الاستبطاء، نحو **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}**[١٠٧].

المطلب العاشر: إذا ورد الفعل الماضى بعد همزة التسوية:

تتضمن همزة التسوية معنى الشرط عند أغلب النحاة، والشرط يكون تحققه فى المستقبل، وذلك مثل قولك: (سواء على أقمت أم قعدت) فصيغة الماضى فى قولك: (أقمت أم قعدت) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية. إذا قصدت سواء على ما يكون منك من قيام أوقعود. أما إذا قصدت سواء على ما كان منك من أو قعود، فإن صيغة الماضى فى هذه الحالة تدل على الزمن الماضى.[١٠٨] ومن دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد همزة التسوية، قوله تعالى حكاية عن الذين استكبروا وهم يحاسبون يوم القيامة: **{سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيص}**[١٠٩]، فصيغة الماضى فى قوله: (أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية[١١٠]. وأوضح السيوطى أن الفعل بعد (أم) إن كان (مقرونا ب لم تعين المضى، نحو**{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ}**[١١١] لأن الثانى ماض معنى، فوجب مضى الأول؛ لأنه معادل له)[١١٢]، من خلال هذا يفهم أن (لم) إن لم ترد بعد (أم) فاحتمال المضى والاستقبال قائم حسب السياق.

المطلب الحادى عشر: إذا ورد الفعل الماضى فى سياق الرجاء:

تدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وردت فى سياق الرجاء، وذلك مثل (عسى) وأخواتها، فهى من أفعال الرجاء، إذ لا يتحقق معناها إلا فى المستقبل، ولذلك كان زمن المضارع الواقع فى خبرها مستقبلًا فقط، ليتوافقا[١١٣]، نحو قوله تعالى: **{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}**[١١٤]، فصيغة الماضى (عسى) تدل على المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث المتمثل فى قوله تعالى **{اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ}**، ومثل قوله تعالى**{فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ}**[١١٥].فالمعنى غالب على اللفظ فى أفعال الرجاء، كأن ما يرجى أن يكون قد كان، وأصبح من المحقق المستجاب، وفى بقاء الفعل على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة.[١١٦]

المطلب الثانى عشر: إذا ورد الفعل الماضى صفة لنكرة عامة:-

تدل صيغة الماضى على الاستقبال إذا وردت بعد صفة لنكرة عامة، نحو: كل رجل أتانى فله درهم) فصيغة الماضى فى (أتانى) تدل على المستقبل، وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة، وهى رجل، ويعلل الرضى دلالة صيغة الماضى على المستقبل فى هذا المثال، بأن فيها (رائحة الشرط)[١١٧]. ومن ذلك قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المخلفين: **{وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا}**[١١٨]، فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على المستقبل، وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة، وهى (أحد). قال الزمخشرى فى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى هذه الآية: (مات صفة ل أحد، وإنما قيل: مات، وماتوا بلفظ الماضى- والمعنى على الاستقبال- على تقدير الكون والوجود؛ لأنه كائن موجود لا محالة)[١١٩] وفى الحديث: (نضَّر الله امرءًا سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها...)[١٢٠]، فصيغة الماضى (سمع) تدل على المستقبل؛ لأنه ترغيب لمن أدرك حياته فى حفظ ما يسمعه منه صلى الله عليه وسلم[١٢١]. وتدل صيغة الماضى إذا وقعت صفة لنكرة عامة على الزمن الماضى أيضا، والذى يحدد ذلك هو السياق، ومن دلالتها على الماضى قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس:

رُبّ رفدٍ هَرَقتهُ ذلك اليو ... م،وأسرَى من معشرٍ أقتالِ[١٢٢]

فصيغة الماضى فى هَرَقتهُ تدل على الماضى، وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة، هى (رفدٍ).

والتعبير بالفعل الماضى عن المستقبل هو أسلوب من البلاغة بمكان، يقول ابن الأثير: "والإخبار بالفعل الماضى عن المستقبل فائدته أن الفعل الماضى إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضى يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"[١٢٣].

نتائج البحث:

توصل الباحث في ختام بحثه هذا إلى نتائج وتوصيات هي:-

١- تحولات الأفعال في التعبير القرآني هي من أبرز الظواهر الأسلوبية في السياق القرآني، وأكثرها وروداً، وتمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

٢- من خلال تحليل سياقات هذه التحولات توصلنا إلى أن كل تحول في المبنى يصاحبه تحولًا في المعنى قطعاً.

٣- تكتسب الأفعال في السياق القرآني دلالتها الزمنية من السياق الواردة فيه، لا من بنيتها الصرفية فحسب.

٤- ظاهرة التحولات في الأفعال والخروج عن مقتضى الظاهر هي وجه من وجوه شجاعة العربية وروعتها.

٥- أظهرت هذه التحولات في الأفعال في التعبير القرآني عن دلالات نفسية، وتربوية،و فكرية، كما هو الحال في السياقات القرآنية التي تصف حال المؤمنين و المنافقين و الكفار، وكذلك الآيات التي خاطب المولى بها هذه الأصناف الثلاثة، فجاء العدول فيها يمثل أثراً نفسياً و يقوم التصور و الفكر، و كذلك الآيات التي وصفت مشاهد الخلق في الكون و الحياة.

٦- أظهرت هذه التحولات أيضاً الجوانب الغيبية في صورة المشاهد المحسوسة المرئية، قطعاً بحدوثها و حصولها، كما هو الحال في السياقات القرآنية التي تحدثت عن عوالم الجنة و النار.ومشاهد البعث و الحساب وغيرها من العوالم الغيبية.

٧- وُظّف هذا التحول للأفعال في التعبير القرآني ليوافق ببنيته المتحولة الوقائع المحسوسة في مشاهد الحياة، فبرز موافقة المقال لمقتضى الحال، و تلك هي البلاغة.

٨- أُوصى بالاهتمام بالدراسات اللغوية التي توظف اللغة توظيفاً دلالياً و اجتماعيا، وذلك من خلال التعامل مع النصوص عن قرب بالتحليل و التعليل، لا سيما النص القرآني

المعجز في نظمه و معناه، والذي كل مفردةٍ فيه بل كل حرفٍ أو حركةٍ إعرابية تحمل رسالةً تتجاوز حدود الكلمة و الجملة إلى عالم النفس و الحياة.

٩- أُشير إلى أن هناك موضوعات لغوية بلاغية بحاجة إلى دراسات مستقلة، تسهم في إبراز جوانب مضيئة من إعجاز النص القرآني، وعبقرية لغته، لغة التنزيل، من تلك الموضوعات، موضوع التحولات الصوتية، والتحولات المعجمية وتحولات التركيب النحوي في السياقات القرآنية، وكذلك التحولات البلاغية الفنية في الصور و التشبيهات و غيرها من موضوعات البلاغة المختلفة.

والحمد لله في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

[١] عبد القادر حامد ، معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم: ص:٧٠.

[٢] فندريس، اللغة:ص١٣٧.

[٣] سورة الشعراء :٩٠ – ٩٤ .

[٤] سورة البقرة : ١٣٧ .

[٥] سورة فاطر : ٤ .

[٦] ابن عادل،اللباب فى علوم الكتاب:٥٢٣/٢.

[٧] الزجاج ، معانى القرآن وإعرابه:٢١٤/١.

[٨] الطبرى ، تفسيره:٦٠٠/٢ .

[٩] الآلوسى ، روح المعانى : ٥٤٠/١ .

[١٠] سورة البقرة ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

[١١] ابن عاشور ، التحرير والتنوير:٣٦٦/٢.

[١٢] الشافعى الإمام ، الرسالة : ص ٥٧٨ .

[١٣] محمد صديق خان، نيل المرام فى تفسير آيات الأحكام:١٦٢/١.

[١٤] الطبرى ، تفسيره : ٤ / ٧٦ .

[١٥] ابن القيم ، بدائع الفوائد ١٠٥/١.

[١٦] ابن يعيش، شرح المفصل : ٨ /١٥٥ .

[١٧] المبرد ، المقتضب: ٤٨/٢ .

[١٨] ابن جنى، الخصائص : ٨٥٦/٣ .

[١٩] ابن جنى، الخصائص :٣ / ٧٠٢ .

[٢٠] ابن يعيش، شرح المفصل ٨ / ١٥٦ .

[٢١] عباس حسن ، النحو الوافى: ١/٥٤.

[٢٢] أبو عبيدة ، مجاز القرآن: ٢/١٥٢.

[٢٣] سورة الإسراء : ٧ .

[٢٤] سورة المائدة : ٦ .

[٢٥] د/ محمد رجب الوزير،الدلالة الزمنية لصيغة الفعل الماضى فى العربية: ١٥٧.

[٢٦] سورة آل عمران : ١٨٥ .

[٢٧] سورة البقرة : ١٤٤ .

[٢٨] عبد الله بو خلخال ، التعبير الزمنى عند النحاة العرب: ١/٦٢.

[٢٩] سورة التوبة : ٣٣ .

[٣٠] سورة النساء : ٩ .

[٣١] د/ عبد الحميد مصطفى السيد،الأفعال فى القرآن الكريم:١/١٨.

[٣٢] سورة المائدة : ١١٦

[٣٣] د/ محمد رجب الوزير، الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى العربية: ١٥٨-١٥٩.

[٣٤] سورة المائدة : ١١٦ .

[٣٥] ابن يعيش ، شرح المفصل: ٨/١٥٦.

[٣٦] الرضى ، شرح الرضى على الكافية:٢/٢٢٥.

[٣٧] سورة هود : ٩٨ .

[٣٨] ابن عاشور ، التحرير والتنوير:١١/٣٢٥.

[٣٩] الرازى ، التفسير الكبير ٦ / ٣٩٤ .

[٤٠] سورة النمل : ٨٧.

[٤١] ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٩/٣١٦.

[٤٢] الرضى، شرح الرضى على الكافية:٢/٢٢٥.

[٤٣] سورة فاطر : ٤١ .

[٤٤] سورة البقرة : ١٤٥ .

[٤٥] الطبرى ، جامع البيان: ٢/٦٦٧.

[٤٦] سورة الفتح : ١ .

[٤٧] الزمخشرى، الكشاف:٦/٢.

[٤٨] سورة النحل : ١ .

[٤٩] ابن عاشور ، التحرير والتنوير:١٣/٧٧.

[٥٠] الآلوسى ، روح المعانى: ١٣/٤٤٦.

[٥١] سورة يس : ٥١.

[٥٢] سورة الزمر : ٦٨ .

[٥٣] الآلوسى ، روح المعانى: ٢٤/٣٨٦.

[٥٤] سورة الكوثر : ١ .

[٥٥] سورة الكوثر : ١ – ٣ .

[٥٦] أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الصلاة: حديث(٤٠٠) ص ١٧٠.

[٥٧] سورة القدر : ١ .

[٥٨] ابن عاشور ، التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

[٥٩] الرضى ، شرح الرضى على الكافية:٢٢٥/٢.

[٦٠] سورة هود : ١٠٧ – ١٠٨ .

[٦١] البغوى ، تفسيره: ٤/ ٢٠٠، القرطبي، تفسيره: ٩/ ٩٩.

[٦٢] الواحدى ، البسيط: ٥٥٧/١١.

[٦٣] ابن قتيبة ، مشكل القرآن: ٢١٣/١.

[٦٤] سورة الدخان : ٤٩ .

[٦٥] الواحدى ، البسيط: ٥٥٧/١١.

[٦٦] سورة إبراهيم : ٤٨ .

[٦٧] الفراء ، معانى القرآن : ٢ / ٢٨ .

[٦٨] سورة النساء : ٣ .

[٦٩] الواحدى ، البسيط: ٥٥٦/١١.

[٧٠] ابن عطية ، المحرر الوجيز: ٤٠١/٧.

[٧١] أبو حيان ، البحر المحيط: ٣٤٢/٥.

[٧٢] الزمخشرى ، المستقصى فى أمثال العرب:٥٩/٢، وهذا المثل يضرب فى الاستحالة.

[٧٣] سورة مريم : ٣١ .

[٧٤] المائدة : ١١٧ .

[٧٥] رضى الدين الأستراباذى، شرح كافية ابن الحاجب:٨/٤–٩.

[٧٦] سورة المجادلة : ١ .

[٧٧] ابن هشام الأنصارى ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/١٩٤.

[٧٨] سورة الأعراف : ٧٠ – ٧١ .

[٧٩] الزمخشرى ، الكشاف : ٢ / ١١٤ .

[٨٠] سورة النساء : ٥٦ .

[٨١] سورة الملك : ٨ .

[٨٢] سورة البقرة : ١٤٩ .

[٨٣] سورة طه : ٦٩ .

[٨٤] السيوطى، همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع: ١/٤٤.

[٨٥] سورة المؤمنون : ٤٤ .

[٨٦] سورة يوسف : ٦٨ .

[٨٧] سورة المائدة : ٣٤ .

[٨٨] سورة آل عمران : ١٧٣ .

[٨٩] السيوطى، همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع: ١/٤٤.

[٩٠] سورة آل عمران : ٢٠ .

[٩١] سورة المنافقون : ٦ .

[٩٢] سورة الإسراء : ٤٠ .

[٩٣] سورة الصافات : ١٤٩ .

[٩٤] سورة الطور : ١٥ .

[٩٥] سورة الزمر : ٣٦ .

[٩٦] سورة الشرح : ١ .

[٩٧] سورة الفيل : ٢ – ٣ .

[٩٨] جرير ، ديوانه : ٨٥ .

[٩٩] سورة الصافات : ٩٥ .

[١٠٠] العجاج ، ديوانه : ١ / ٤٨٠ .

[١٠١] سورة الأنبياء : ٦٢ .

[١٠٢] سورة الأنبياء : ٦٣ .

[١٠٣] سورة البقرة : ١٠٦ .

[١٠٤] سورة هود : ٨٧ .

[١٠٥] سورة آل عمران : ٢٠ .

[١٠٦] سورة الفرقان : ٤٥ .

[١٠٧] سورة الحديد : ١٦ .

[١٠٨] السيوطى ، همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع:١/٤٤.

[١٠٩] سورة إبراهيم : ٢١ .

[١١٠] د/ محمد رجب الوزير ، الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى العربية:ص ١٤٩.

[١١١] سورة البقرة : ٦ .

[١١٢] د / عبد الحميد مصطفى السيد ، الأفعال فى القرآن الكريم : ١ / ١٩ .

[١١٣] د / عبد الحميد مصطفى السيد ، الأفعال فى القرآن الكريم : ١ / ١٩ .

[114] سورة التوبة : ١٠٢ .

[115] سورة المائدة : ٥٢ .

[116] السيوطى ، همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع:١/٤٤.

[117] رضى الدين الأستراباذى،شرح كافية ابن الحاجب: ٩/٤.

[118] سورة التوبة : ٨٤ .

[119] الزمخشرى ، الكشاف : ٢ / ٢٠٧ .

[120] ابن ماجة ، سنن ابن ماجة : ١ / ٨٤ .

[121] السيوطى ، همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع: ١/٤٤.

[122] ميمون بن قيس (الأعشى الكبير) ، ديوانه : ص ٦٣ .

[123] ابن الأثير ، المثل السائر : ٢ / ١٦ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب

١- البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف ، (ت : ٧٤٥هـ) ،عناية: زهير جعيد ، بيروت دار الفكر ، ١٩٩٢م.

٢- بدائع الفوائد . ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، وعادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد الجمال ، بإشراف : سعيد عبد الفتاح، مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ١٩٩٦م .

٣- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرحه السيد أحمد صقر، ط/ ٢، ١٩٧٣ م، طبع دار التراث – القاهرة.

٤- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ،تونس،١٩٨٤م.

٥- التعبير الزمني عند النحاة العرب: " منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ":دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية و اساليبها، د/عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر/ ١٩٨٧م.

٦- التفسير البسيط تأليف: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي.تحقيق: مجموعة من الباحثين.دار النشر: عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة الطبع: الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

٧- التفسير الكبير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران – إيران –، ط ٢.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . الطبري : أبو جعفر ، محمد بن جرير ، (ت : ٣١٠هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٧١م .

٩- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تصحيح أحمد عبد العيم البردوني، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥٢ م.

١٠- الخصائص. ابن جني : أبو الفتح : عثمان ، (ت : ٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت ، دار الهدى.

١١- الدلالة الزمنية لصيغة الماضى في العربية، محمد رجب محمد الوزير، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مصر.

١٢- ديوان الأعشى الكبيرالمؤلف: ميمون بن قيس المحقق: محمد حسين حالة الفهرسة: غير مفهرس .

١٣- ديوان العجاج. رواية : الأصمعي : أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب ، (ت : ٢١٦هـ) تحقيق : عزة حسن ، بيروت ، مكتبة دار الشرق، ١٩٧١ م.

١٤- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، جرير – محمد بن حبيب، المحقق: نعمان محمد أمين طه، سنة النشر: ١٤٠٦ – ١٩٨٦عدد المجلدات: ٢

١٥- الرسالة المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٧- شرح المفصل. ابن يعيش : موفق الدين ، يعيش ، (ت : ٦٤٣هـ) ، بيروت ، عالم الكتب . .

١٨- شرح كافية ابن الحاجب . الرضي : محمد بن الحسن الاستراباذي ، (ت : ٦٨٦هـ) ، تحقيق: إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٨م .

١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت : ٥٣٨هـ)، تحقيق : محمد مرسي عامر ، القاهرة ، دار المصحف ، ط٢ ، ١٩٧٧م.

٢٠- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

٢١- اللغة،: ج. فندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م

٢٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٦هـ)، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٣- مجاز القرآن . أبو عبيدة : معمر بن مثنى التيمي ، (ت : ٢١٠هـ)، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، القاهرة مكتبة الخانجي ، (غ . ت).

٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة – معاني الماضى والمضارع في القران الكريم، حامد عبد القادر ١٩٥٨/١٠.

٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم وآخرين، طبع في قطر بين عامي ١٩٧٧ - ١٩٩١ م.

٢٦- المستقصى في أمثال العرب المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

٢٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٨- معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٩- معاني القرآن. الفراء: أبو زكريا، يحي بن زياد ، (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق : محمد علي النجار ، وأحمد يوسف تيجاني ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٩٨٨م.

٣٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام : عبد الله بن يوسف ، (ت : ٧٦١هـ) ، تحقيق: مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مراجعة : سعيد الأفغاني ، بيروت ، دار الفكر ، ط٥ ١٩٨٥م .

٣١- المقتضب، المقتضب المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. الناشر: عالم الكتب.

٣٢- النحو الوافي،عباس حسن ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٥، ١٩٧٥م.

٣٣- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي دار النشر: دار الكتب العلمية تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠.

٣٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . السيوطي : جلال الدين ،عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت: ٩١١هـ) تحقيق : أحمد شمس الدين، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٨م .